تاريخ الإرسال: 2025/01/14 تاريخ القبول: 2025/03/16

منهج التجريد الفقهي في مختصر العلامة عبد الرحمان الأخضري

The Jurisprudential abstraction Approach of the Erudit Abdur Rahman El Akhdary's "Mukhtasar"

ط.د. بيتور أمحمد*[1]، أ.د. بن البار علي[2]

[1]مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة غرداية، (الجزائر)، bitour.mahammed@univ-ghardaia.dz

https://orcid.org/0009-0003-4732-4977

[2]جامعة غرداية، (الجزائر)، Ali1980.Ac24@Gmail.Com

الملخص:

يعتبر مختصر الأخضري من بين أشهر متون الفقه التجريدي في العبادات عند المالكية، ومن أكثرها إقبالا وتداولا بين العلماء والمتعلمين، لوجازته وسهولة ألفاظه وفصاحة بيانه، ومتعة أسلوبه الذي يتسم بالطابع التعليمي المدرسي.

جاءت هذه الدراسة لبيان حقيقة منهجه الفقهي التجريدي ودوره في التحصيل العلمي من خلال التعريف بالأخضري، وبمتنه وجهوده ومنهجه في تأليفه والطريقة التعليمية التي سلكها في صياغته ليسهل على المتعلمين الاستفادة منه.

ليتبين أن منهج التأليف الفقهي التجريدي أسلوب فعال لتبسيط علم الفقه للناس عامة وتسهيل فهمه وتحصيله، ونشره بين المتعلمين خاصة

الكلمات المفتاحية: الأخضري، المنهج، الاختصار، المتن، التجريد.

* المؤلف المرسل

Abstract:

Al-Akhdary's paperback is considered one of the most famous and significate gathered abstracted in Fikh related to worship concerning the Malikit ritual, and it is the most likely accepted and overspread among eminent scholars and religion students, this is due to its easiness and fluency word statements because of short, adding to that, it is characterized by the educational model in teaching. This study came up to show the approach and the method of learning and teaching, adding to this, its contribution in reaching religious sciences through the Al-Akhdary's method, and also by its effort and, the strongest will of his teaching methods in and the manner in teaching it that he followed in formulating in order to facilitate for the scholars and students to benefit from him.

It becomes clear that the methodology of abstract jurisprudential authorship is an effective approach To simplify the science of jurisprudence for the general public, facilitate its understanding and acquisition, and disseminate it among learners in particular

key words: Al-Akhdary, Approach, Abbreviation, paperback, The abstraction

مقدّمة:

تعد المدرسة الفقهية المغاربية من أشهر المدارس التي أسهمت في خدمة المذهب المالكي، من خلال التصنيف والتدريس، حيث خلفت تراثا فقهيا كبيرا من مخطوطات ومطبوعات في شتى أنواع العلوم من مختصرات ومنظومات وشروح وحواشي، وقد برزت حواضر الجنوب الجزائري كأقطاب علمية من خلال الحركة العلمية للمساجد والزوايا والتي ترأسها علماء أجلاء، أبرزهم أبو زيد عبد الرحمان ألأخضري، الذي تميز عن أعلام عصره بخصوبة إنتاجه العلمي، بين نظم ونثر في مختلف أنواع العلوم، النقلي منها والعقلي، فاتسمت مؤلفاته بالإيجاز والاختصار، تسهيلا لحفظها وتلقينها للمتعلمين المبتدئين، وتسهم في تطوير مناهج التدريس ونقل المعارف والعلوم، لتمكين المتعلمين المبتدئين من استيعاب المحاور الكبرى للمادة العلمية ثم تحصيلها.

تهدف هذه الدراسة إلى بيان حقيقة المنهج التجريدي التعليمي، للعلامة الأخضري من خلال التعريف به وبمكانته العلمية، وإبراز دور المتون والمنظومات في التحصيل العلمي ونشره بين المتعلمين، وبيانا لأهمية منهج التأليف الفقهي التجريدي، ودوره في تبسيط علم الفقه للناس عامة؛ وللمتعلمين المبتدئين خاصة، مما يسهل فهمه وتحصيله.

من الواضح أن مختصر الأخضري في متن فقه العبادات على المذهب المالكي، قد تميز تأليفه بمنهج تعليمي يقوم على تجريد الفقه من الخلاف؛ ومن الآراء المتعددة في المسألة الواحدة وإيرادها مجردة عن أدلتها التفصيلية، وبناءً عليه، نطرح الإشكالية التالية:

ما هي حقيقة المنهج التجريدي التعليمي الذي اعتمده الأخضري في مختصره الفقهي؟

اعتمدت الدراسة هذه على المنهج الوصفي، وذلك من خلال تتبع المتن ودراسته ووصف أسلوب تأليفه وكيفية صياغته للمسائل الفقهية وعرضها بطابع تعليمي يجمع بين الشمول والإيجاز، بين السهولة والبيان، والمنهج الاستقرائي، باستقراء الشروح والحواشي التي أُلفت حوله؛ للوصول إلى فهم منهجه في الاختصار.

ولمعالجة الموضوع قسمت الدراسة إلى مبحثين الأول للتعريف بالعلامة عبد الرحمان الأخضري وآثاره، والثاني، حول المنهج التجريدي التعليمي للأخضري في مؤلفاته، خاصة في متن فقه العبادات على المذهب المالكي.

المبحث الأول: التعريف بالعلامة الأخضري

تناول هذا المبحث التعريف بالعلامة الأخضري، بنسبه ومكان مولده والبيئة العلمية التي نشأ فيها، وشيوخه الذين تتلمذ عليهم ونهل من علمهم، وأشهر تلاميذه الدين أخذوا العلم عنه، وعن آثاره التي خلفها في شتى أنواع العلوم النقلية منها والعقلية بين نثر ونظم.

أولا– اسمه ونسبه:

هو العلامة أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الصغير بن عامر الشهير بالأخضري البنطيوسي[1]، يعود نسبه إلى الصحابي الجليل العباس بن مرداس السلمي[2]، عالم بالمنطق والفرائض والبيان والمعاني والفلك والحساب، من أبرز علماء الجزائر في القرن العاشر الهجري[3].

ثانيا– مولده ونشأته:

ولد في بن طيوس وهي قرية من قرى بسكرة بالجزائر سنة 920هـ على أصح الروايات[4].

نشأ عبد الرحمان الأخضري في بيئة علمية في بيت علم وصلاح، نهل العلم منها، حيث أحاطه والده الذي كان من علماء عصره[5]، بالرعاية والتربية والتعليم، وغرس فيه شغفه بالعلم وحبه له منذ حداثة سنه، تميز بالذكاء والفطنة وسرعة البديهة؛ والحرص على تحصيل العلم، فجمع بين المعقول والمنقول.

طلب الأخضري العلم بقسنطينة لما كانت تزخر به من جهابذة العلماء آنذاك فالتقى بأبرز علمائها الشيخ عمر الوزان وتدارس معه وأخذ عنه[6]، وعلى عمه إبراهيم الأخضري أشهر علماء طولقة والذي يعد من شيوخ تونس وعلمائها كل هذه العوامل ساعدت الأخضري على أن ينشأ نشأة صالحة[7].

ولما بلغ من العلم مبلغا أرسله والده إلى تونس لينهل العلم والمعرفة، فأقام مدة في جامع الزيتونة، ثم رجع إلى بلده مشتغلا بالعبادة معتكفا على تدريس العلم، في الزاوية التي أسسها جده " محمد عامر" والتي أضحت مدرسة علمية ذات إشعاع علمي ساطع نوره في الآفاق، يقصدها الطلاب من كل حدب وصوب طلبا للعلم[8].

ثالثا– شيوخه وتلاميذه:

من أبرز الشيوخ الذين تلقى عنهم الشيخ عبد الرحمان الأخضري العلم وتأثر بهم:

والده محمد الصغير: وهو من المشتغلين بالعلم والتدريس، له حاشية على مختصر خليل، وشرح لما أغلق من ألفية بن مالك، وكتابا في التصوف هاجم فيه الدجاجلة الذين انحرفوا حسب رأيه عن منهج الشّرع القويم[9]، ومن العلوم التي درسها على والده الحساب والفرائض كما نص على ذلك في شرحه على الدرة في باب الوصايا[10].

أخوه الشقيق أحمد الأخضري: كان فقيها ورعا زاهدا، تقيا، اشتغل بالتدريس أخذ عنه وقرأ عليه رحمه الله[11].

محمد بن عامر الأخضري[12]: عالم عصره، كان فقيها ومدرسا، ترك أجوبة عن مسائل ونوازل فقهية[13].

الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي[14]: فقيه ومحدث وصوفي أصله من قرية قرقاش بطرابلس ونشأ بالجزائر، سنة 959هـ له " رسالة ذوي الإفلاس إلى خواص أهل فاس"، و" الأنس في التنبيه عن عيوب النفس"، أخذ عنه الأخضري وتلقى على يديه ورد الطريقة الشاذلية والزروقية، توفى سنة 963هـ[15].

الشيخ عبد الرحمان بن القرون[16]: من العلماء الزاهدين وأحد المرابطين من قرية ليشانة الواقعة بالقرب من مدينة طولقة، أخذ عنه الأخضري واستفاد منه كثيرا[17].

الشيخ عمر بن محمد الكماد المعروف بالوزان: من علماء قسنطينة البارزين، كان فصيحا خطيبا صيتا ذا سمت كثير النثر، الشعر صنعته[18]، له تصانيف منها: " البضاعة المزجاة" وفتاوى في الفقه والكلام، وحاشية على صغرى السنوسي[19].

أشهر تلاميذه:

أما تلاميذه فأتوه من نواح متعددة كواد ريغ، وما حولها، وتقلفال، وبلاد الزاب وغيرها، ومن أبرزهم:

الشيخ أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن مسلم الفارسي: وهو من أنجب تلاميذ الشيخ الأخضري، نهل من علمه حتى ارتقى إلى درجات التدريس، وبلغ شأنا عظيما، تجلى في قيامه بشرح كتاب " السراج في علم الفلك"، لشيخه الأخضري[20].

الفكون الحفيد: شرح بعض كتب الأخضري، وتأثر بمذهبه الصوفي والمتمثل في ما يبدو بالطريقة الزروقية. [21]

رابعا–وفاته:

توفى الشيخ عبد الرحمان الأخضري سنة 983هـ على أرجح الروايات، ودفن بزاوية جده بمسقط رأسه بنطيوس، مخلفا وراءه تأليفات ومصنفات كثيرة ومفيدة في شتى العلوم والفنون[22].

خامسا– مؤلفاته:

تميز الشيخ عبد الرحمان الأخضري عن شخصيات بيئته العلمية في عصره أنه من أخصبهم إنتاجا وأوسعهم شهرة في ميدان التأليف في شتى أنواع العلوم النقلية والعقلية بين نظم ونثر.

ونظراً لاهتماماته بالتربية والتعليم، فإن منهجه في التأليف طغى عليه الطابع المدرسي الأكاديمي، حيث يعمل على أساليب تنمية الذاكرة، يعد متن المادة المراد تدريسها للمتلقي ليتم تلخيص ما تضمن بأسلوب محدد، ثم يسعى بعدها إلى شرحه[23].

فقد عمل على شرح معظم منظوماته شرحا وافيا في شتى العلوم، أفاد بها طلبة العلم، في أهم المعاهد بالمشرق والمغرب كالزيتونة والأزهر الشريف، إضافة الى الزوايا ومدارس العلم بتلمسان وبجاية وبسكرة، وقسنطينة والجزائر، إلى غيرها من البلدان الإسلامية[24].

ونذكر من أهم آثاره:

" **رسالة في علم الحساب**": وهي نظم في مائة وسبعة عشر بيتا، لم تكن مادة الحساب هي الغاية من وضع هذه الرسالة، بل كان الحساب وسيلة لفهم وتطبيق مادة الفرائض وقسمة التركات نظمها في مائة وسبع عشرة بيتا صاغها بأسلوب بسيط وواضح، وضع فيها القواعد الأولية للحساب لغرض التدريس[25].

" **الدرة البيضاء**": في الحساب والفرائض مقسمة إلى أقسام ثلاثة، أولها يدرس موضوع الحساب، والثاني فقه الفرائض والتركات، أما الثالث فيهتم بالجانب العملي في قسمة التركات في حلة علمية ومنهجية في عرض المواد التعليمية على الراغبين في العلم[26].

" **منظومة القدسية**": وهي أرجوزة اعتنت بآداب السلوك شملت التصوف والوعظ، اتسمت بالطول نظمها الأخضري سنة 944هـ، ذاع صيتها بين طلبة العلم من الصوفية، وأصبحت تلّقن في جل المعاهد والزوايا حيث أصبحت من المقررات الدراسية آنذاك[27].

" **الرائية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم**": وهي قصيدة من البحر البسيط في الوعظ وفي مدح الرسول صلى الله عليه وسلم عدد أبياتها 163 بيتا[28].

" **متن الأخضري في العبادات**": وهو مختصر في فقه العبادات على مذهب عالم المدينة مالك بن أنس الأصبحي وضعه نثرا[29].

المبحث الثاني: متن الأخضري ومنهجه.

تناول هذا المبحث التعريف بمختصر الأخضري في متن فقه العبادات على المذهب المالكي، ووصف ما ضمنه من أبواب وفصول، ثم إلى بيان قيمته العلمية التي تتضح من خلال كثرة الشروح التي عليه، ثم إلى دراسة منهجه العلمي في مؤلفاته عامة ومن ثم إلى خصائص منهجه التعليمي في مختصره.

أولا- التعريف بمتن الأخضري:

هو عبارة عن متن مختصر وموجز في فقه العبادات على المذهب المالكي اشتهر وأطلق عليه اسم "مختصر الأخضري" نسبة لمؤلفه، الغاية من تأليفه تقريب مباحث فقه العبادات لعامة الناس وللمتعلمين المبتدئين خاصة، ليشمل أهم ما يحتاجونه من قضايا فقهية في أمور دينهم، مراعيا في تصنيفه الدقة والإيجاز، مجتنبا التطويل، ليسهل على المتعلم استيعابه، ومدارسته، استهله بمبحث الإيمان، ثم الطهارة والصلاة، ثم السهو، سُطِّرَ في أربع وعشرين صفحة، ذاع صيته وانتشر بين الناس وكتب الله له القبول، فكثر شارحوه، وناظموه، تسهيلا له، وقد طبع المتن عدة طبعات منها: طبعة الجزائر سنة 1324هـ، والطبعة الثانية سنة 1346هـ، بالمطبعة الثعالبية لصاحبها رودوسي قدور بن مراد، وطبعة مصر، بمطبعة محمد علي صبيح وأولاده [30].

وقد ضمنه الأخضري عدة فصول تمثلت في:

فصل في الإيمان: حدد فيه الأخضري الشروط التي يجب أن تتوفر في المكلف ليصحح إيمانه وما يتوجب عليه من المحافظة على حدود الله وصيانتها، بالالتزام بما أمر به واجتناب ما نهى عنه ثم تكلم عن التوبة وشروطها، وعن حفظ الجوارح من المعصية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم يذكر بعض الصفات التي تخالف الخلق الإسلامي وما يقتضيه الشرع[31].

فصل في الطهارة: ذكر فيه الأخضري قسمي الطهارة، طهارة الحدث وطهارة الخبث واللتان لا تصح إزالتهما إلا بكون الماء طاهرا مطهرا، ثم تكلم عن النجاسة وشرط

إزالتها، ثم عن الوضوء، وعن فرائضه وسننه وما تبعه من فضائل، ثم تطرق إلى ما ينقض الوضوء، وما لا يجوز القيام به من غير وضوء، ثم الكلام عن الغسل وفرائضه، وسننه وما تبعه من فضائل، ثم فصل في التيمم تكلم فيه على فرائضه، وسننه، وما ينقضه[32].

فصل الحيض: ذكر فيه أصناف النساء التي يعتريها الحيض، من المبتدأة والمعتادة والحامل، وتقدير أيام الحيض، ثم تحدث عن موانع الحائض، وأعقبها بفصل في النفاس، وهو عنده أشبه بالحيض فيما يقع عليه[33].

فصول في الأوقات والصلاة: تكلم فيه عن الوقت المختار والضروري لكل صلاة[34]، ثم انتقل الأخضري بعد ذلك إلى الإفاضة في فصول الصلاة، في شروطها وفرائضها وسننها وفضائلها وأدائها والأحوال التي تؤدى عليها[35]، ثم فصل في قضاء ما يشغل الذمة من صلوات، وختم المتن بباب في السهو وبسط الحديث فيه[36].

ثانيا– القيمة العلمية لمتن الأخضري:

لا شك أن للمتون والمنظومات والشروح والحواشي أهمية كبرى في نشر العلوم وتيسيرها، بمختلف مجالاتها سواء كانت دينية كالفقه وأصوله وعلوم القرآن، والحديث أو علوم اللغة، أو الفلك، أو الحساب والمنطق والطب إلى غيرها من مختلف العلوم التي عرفتها البشرية.

ومتن فقه العبادات على المذهب المالكي ألفه الأخضري أراد به عامة الناس ومتعلميهم، غرضه تبسيط ما يتعلق بأمور دينهم، تعرض فيه إلى مسائل فقهيه من باب العبادات على مذهب الإمام مالك، مسائل في مبحث الإيمان، والطهارة والصلاة والسهو، راعى فيه، الدقة والاختصار، تسهيلا على طالبيه ومريديه وتقريبه للمتعلمين المبتدئين من طلبة العلم.

وتتجلى قيمة مختصر الأخضري من خلال شروحه الكثيرة المتداولة بين العلماء والفقهاء، وأهم هذه الشروح:

" **حل المسائل في شرح مختصر الأخضري بالدلائل**"، للشيخ الحاج سعيد بن عمر بن سعيد جلياتوري المالي، قام ببيان ما أغلق في هذا المتن وربط جميع مسائله بأدلتها النقلية أو العقلية[37].

" **المورد العنبري على المنظومة المسماة بالعبقري في حكم السهو في الصلاة**" لعبد الله بن محمد بن عبد الرحمان التواتي، علق فيه على منظومة العبقري في نظم سهو الأخضري للشيخ محمد بن أب ألفه استجابة لمن سألوه مؤلفا يشرح نظم باب السهو لعبد الرحمان الأخضري[38].

" **هداية المتعبد السالك شرح مختصر الأخضري في مذهب الإمام مالك**" لصالح عبد السميع الأبي الأزهري، تتبع فيه شارحه كلمات المتن يشرحها ويتوسع فيها ويربط المسائل بأدلتها من الكتاب والسنة مع إسناد الأقوال إلى أصحابها، كما يورد الخلاف في المسائل دون إسهاب في ذلك.

" **منح العلي شرح كتاب الأخضري**" للشيخ محمد بن محمد سالم المجلسيُ الشنقيطي، وهو من أحسن الشروح الكثيرة التي حُظيَ بها متن الأخضري، وقد حققه أباه بن محمد عالي بن نعم العبد المجلسي الشنقيطي، ووضع عليه تعليقات تتناسب مع منهج تأليفه من حيث حسن البيان وتفصيل الأحكام والنقول وتأصيلها، وتخريج الأدلة والأصول.

" **عمدة البيان في معرفة فروض الأعيان**" لأبي محمد عبد اللطيف بن المسبّح المرداسي القسنطيني الجزائري (ت980هـ)، شرح به مختصر الأخضري في فقه الإمام مالك، مبينا ما اشتملت عليه فصوله وأبوابه، متوجها بشرحه لطلبة العلم المبتدئين.

" **نظم الدرر على شرح المختصر**" لعبد الكريم الفكون، وضعه على مختصر الشيخ عبد الرحمن ألأخضري [39].

" **شرح وتحليل لمختصر الأخضري في العبادات**"، لأمين الدين أبي بكر، وهو شرح للمتن على ضوء الكتاب والسنة، قام بربط مسائله بأدلتها من القرآن والسنة كما تناول شرح ألفاظ أبواب المختصر وفصوله.

إلى غير ذلك من الشروح العديدة.

ثالثا– منهج الاختصار في مؤلفات الشيخ عبد الرحمان الأخضري:

يتضح موقف الأخضري من منهج الاختصار من خلال استقراء مؤلفاته، حيث جاء في شرح الدرة البيضاء للأخضري، أنه أخذ في تعلم فن منهج الاختصار عن والده مشافهة، ولم يأخذه من قراءة الكتب، فكتب هذا النظم في بدايات تعليمه الأولى، وكان يعزف عن قراءة ما فيه تطويل وحشو دون فائدة،(40) وعليه فالأخضري يرى أن مسلك لاختصار هو المنهج القويم للمتعلمين قبل التطرق للمطولات، وهذا ما يتضح في مؤلفاته نظما كانت أو شرحا، لهذا نجده في شروحه، يركز على المعنى دون التوسع في الألفاظ من حيث الشرح والإعراب إلا لضرورة دعت لذلك.

تنوعت تآليف الأخضري بتنوع العلوم النقلية منها والعقلية، ويهدف منها إلى تلقين العلوم للمبتدئين متبعا منهج الشمول والاختصار مع مراعاة التبسيط في ذلك تيسيرا للفهم والإدراك(41).

فمن مميزات أسلوب الأخضري مرونة الألفاظ وسهولتها عند تقديمه مسائل العلوم، مما رغب أهل العلم في الإقبال على مصنفاته دراسة وشرحا في كل مدرسة أو معهد من معاهد العلم بالمغرب العربي، وفي المشرق أيضا (42).

فمنهج الاختصار عند الأخضري يعد أهم المناهج التعليمية الذي يعتمد عليه لتسهيل العلوم وتبسيطها، حيث يستطرد في التحليل لما صعب من المسائل ويبسط ما تعقد من المباحث، بالاستشهاد من الواقع التعليمي، إضافة إلى إشفاعه الجانب النظري بالتطبيقي، من خلال استخدامه لشواهد من الواقع طبقا لمقتضى الحال(43)، ويتجلى هذا في نظمه " الذرة البيضاء"، حيث خصص، القسم الأول منه، للكلام عن الأسس النظرية لعلم الحساب ومبادئه، إلى جانب العمليات الحسابية الأساسية، وذلك بهدف ترسيخ المفاهيم العامة الضرورية لفهم هذا العلم وتطبيقاته.

ثم انتقل إلى القسم الثاني والذي خصصه للتركات، حيث ركز على الجانب النظري المتعلق بتحديد من يرث ومن لا يرث ونصيب كل وارث، وهو بمثابة الجانب النظري، ليكون القسم الثالث عبارة عن الجانب التطبيقي العملي والذي جعله للقسمة، حيث يطبق فيه الإطار النظري، إضافة إلى توضيح آليات قسمة التركة وفقا للأنصبة

الشرعية مما يعزز فهم التفاعل بين القواعد الشرعية والتطبيق العملي في منظومة الإرث الإسلامية.(44)

فنجد أن الأخضري في مسلكه هذا المنهج قد وفق بين التعميم والاختصار المبسط، الذي يفيد طالب العلم المبتدئ، وذلك بحصره قواعد عامة واضحة تزيل الإبهام وتنور الأفهام وتهيئ طالب العلم وتؤهله إلى قراءة المطولات وفهمها.

لهذا نجد أغلب مصنفات الأخضري على هيئة منظومات تعليمية، اختصر فيها قواعد العلوم ومبادئها، وهو ما يتطلب منه مهارة عقلية، وشحنا للذهن، واستكشاف المعاني لنظمها في أبيات شعرية مختصرة(45).

فالشعر التعليمي عند الأخضري تميز بخصائص عدة منها التزامه بالمنهج العلمي الذي يهدف إلى ترسيخ المعارف العلمية الموضوعية، الواضحة في مادتها التعليمية ليسهل فهمها، مخاطبا بها العقول دون العواطف مستخدما لغة سلسة سهلة تؤدي لفهم المعنى مباشرة، وهو ما نلمسه في مؤلفه "السلم المرونق" في علم المنطق، و" الدرة البيضاء" في علم الفرائض.

وله عدة مؤلفات تجاوزت الثلاثين، كلها منظومات تعليمية، اعتمدت في المدارس والزوايا منذ سنين، ولازالت إلى اليوم يعمل بها في مؤسسات التعليم القرآني.

كما اعتمد الأخضري النظم في التصنيف ونشر المعارف وتبليغها للمتلقين، نجده قد اعتمد كذلك على النثر وهذا ما يتضح جليا في مؤلفه مختصر فقه العبادات، وغيره من المؤلفات الأخرى.

رابعا- خصائص منهج الأخضري في مختصره:

ألف الأخضري مختصره في فقه العبادات وسلك فيه منهجا ذا طابع تعليمي يقوم على تجريد الفقه من الخلاف والآراء المتعددة في مسائله وفروعه وذكرها مجردة عن أدلتها التفصيلية، والأخذ بالراجح من الأقوال في المذهب المالكي، مستخدما في ذلك أسلوب الاختصار الذي يعتمد على الإيجاز والشمول في صياغة الأفكار والوضوح في عرضها وترتيبها دون إخلال بالمعنى، تسهيلا للحفظ والتلقين وتقريبه إلى الأفهام، وإسهاما منه في تطوير مناهج التدريس ونقل العلوم وتحصيلها.

لهذا نجد أبرز ما يميز المنهج التجريدي التعليمي الذي اعتمده الأخضري في مختصره فقه العبادات عن غيره من المناهج، النقاط التالية:

الإيجاز والشمول: وذلك من خلال شمولية المسائل الفقهية وتعددها في المختصر من خلال تعدد المواضيع التي تناولها وعالجها بإيجاز دون إخلال، فقراءة المبتدئ للمختصر تكفيه معرفة بالطهارة، والوضوء، والصلاة وتصحيحها إن سها، فقد تناول المختصر أشهر مسائل السهو، في أقل من عشر صفحات مخطوطة، مما يدل على قدرته على تلخيص ما يفيد طالب العلم المبتدئ.

ذكر الأحكام مجردة عن أدلتها التفصيلية: وذلك بذكر المسائل الفقهية، دون ذكر أدلتها النقلية أو العقلية، ولو بالإشارة إليها، ليسهل على طلبة العلم حفظ مسائل المذهب واستحضارها، وييسر لهم الوصول إلى خلاصة الحكم دون الخوض في التفصيل والتحليل، تبسيطا لعلم الفقه.

فإذا ما تأسس طالب العلم تأسيسا صحيحاً، تأهل بعدها إلى قراءة المطولات وفهمها، ومعرفة مذاهب السلف بأدلتها، لتحصل الملكة الفقهية.

فهذا المنهج التعليمي الذي اعتمده الأخضري في تدريسه لطلابه، كان علامة مضيئة في مؤلفاته أنار بها المشارق والمغارب، وكان لها أثر بارز في تكوين علماء وفقهاء اشتهروا بعلمهم وعرفوا بفضلهم، نشروا العلوم في مختلف الفنون.

فقد سار الأخضري في تأليف متن فقه العبادات على المذهب المالكي على نهج كثير من مؤلفات الفقه المالكي التي تخلو من الأدلة التفصيلية للفروع والمسائل الفقهية، على الرغم من أن الفقه المالكي كغيره من المذاهب له أصوله وأدلته التي يقوم عليها، وهذا خلاف ما يدعيه بعض المتأخرين حول المذهب المالكي بأنه خال من الأدلة.

فالناظر في تاريخ التشريع الإسلامي يلحظ دون عناء، أن هذه الشبهة الرائجة، إنما هي لسوء فهم أو عن قلة اطلاع.

فالفقهاء المتقدمون كانوا على دراية بأدلة مذهبهم التفصيلية، ولم تكن غائبة عن أذهانهم وهم يدونون كتبهم، التي غلب عليها منهج التجريد(46).

الأخذ بالراجح من الأقوال: الأخذ بالقول الراجح منهج أهل الاختصار من العلماء، إلا أنهم يختلفون في الإشارة إلى الخلاف من عدمه، فمنهم من يذكر الرأي الراجح ويشير إلى وجود رأي مخالف بعبارات تدل على ذلك، كقولهم هناك تأويلان كمثل ما نجده عند خليل بن إسحاق في مختصره في فصل حكم سجود السهو وما يتعلق به[47]، إلا أن الأخضري دون الآراء الراجحة والمتفق عليها دون الإشارة إلى وجود الاختلاف، لأن مصنفه يريد به العامة والخاصة والمبتدئين من طلاب العلم على السواء، مما جعله من المختصرات الأكثر انتشارا في مدارس التعليم القرآني.

أفكاره ومنهج ترتيبها وكيفية عرضها: امتاز الأخضري في عرض أفكاره بسهولة أسلوبه وبساطة عباراته ومفرداته، بعيدا عن التعقيد والغموض، فمثلا في فرائض الوضوء يذكر الأخضري في فصل فرائض الوضوء أنها سبع فرائض، ثم بدأ يعددها، فأول الفروض النية، والثاني غسل الوجه، والثالث غسل اليدين إلى المرفقين، والرابع مسح الرأس، والخامس غسل الرجلين إلى الكعبين، والسادس الدلك ثم الفرض السابع وهو الفور[48]، وقد تميز في عرضه بسهولة الأسلوب، وبساطة اللغة، وضوح العبارة، ويتضح هذا جليا إذا توجه النظر إلى الموضوع نفسه عند خليل نجده يتكلم فيه بأسلوب أكثر تعقيدا ففي فرض غسل الوجه يذكر خليل غسل حد الوجه عرضا ما بين الأذنين وحده طولا من منابت شعر الرأس المعتاد إلى منتهى الذقن في حق من لا لحية له وأما من له لحية فيغسل ظاهرها ولو طالت، وهكذا إلى أن ينتهي[49].

كما تميز منهجه بطريقته في ترتيب الأفكار، وتصنيف المواضيع، ليسهل استيعابها وتحصيلها، فالمتتبع لباب الصلاة مثلا يلاحظ أنه قسمه إلى فصول، الأول منه خصصه لأوقات الصلاة، والثاني منه لشروطها، أما الثالث فلفرائضها وسننها، ثم بعد ذلك ثلاثة فصول اعتنت بالخشوع في الصلاة، وكيفية أدائها، وقضائها، وخصص للسهو بابا ضمن فيه مسائل جوهرية هامة[50].

وقد استخدم في ذلك أسلوب العد والتقسيم والتمييز، لتسهيل الحفظ على المتعلم المبتدئ، كقوله في واجبات الغسل، "يجب الغسل من ثلاثة أشياء"، وعن الجنابة "والجنابة قسمان"[51]، و الطهارة قسمان[52]...الخ

عدم التعرض للاختلاف والآراء المقابلة: لم يتعرض الأخضري في متنه إلى مسائل الخلاف والآراء المقابلة الأخرى سواء كانت من داخل المذهب المالكي أو من خارجه، بين المذاهب الفقهية الأخرى، فنجده مثلا لم يتعرض لمسائل القبض والسدل، أو المسح على الخفين، وذلك لمنهجه في مختصره الذي تقيد فيه بذكر الأقوال الفقهية الراجحة في المذهب المالكي، ليكون المختصر مفيدا لطالب العلم المبتدئ ويكون له مطية تنقله إلى قراءة المطولات وفهمها، وهذا المنهج مختلف عن منهج المختصرات، كمختصر ابن الحاجب الذي يتميز باستيعاب المسائل وتبسيطها وتحريرها، فكان مشتملا على أقوال المذهب المختلفة، منسوبة إلى أصحابها، يعرضها مختصرة ومحصورة في ألفاظ قليلة ذات معان كثيرة، ويبرز رأي المذهب في المسألة، ومثال ذلك مسألة المسح على الخفين، يحرِّر المسألة ويعرض فيها أقوال الفقهاء المعتمدة وآراءَهم المختلفة، مصدرة برأي المذهب فيها(53).

خاتمة:

من خلال ما تم عرضه يتبين أن منهج التجريد الفقهي عند الأخضري مرتبط بمنهجه التعليمي، حيث يتضح جليا في مختصره الفقهي في متن العبادات، والذي وضعه لتقليص المطولات وتلخيص ما صعبت قراءته تيسيرا للفهم وتسهيلا للحفظ.

وفي ختام هذا الورقة يمكن استخلاص أهم ما تم التوصل إليه من نتائج وتوصيات، على النحو التالي:

إن المختصرات عند الأخضري سلم يرتقى به إلى المطولات، يضم عبارات وجملا بعيدة عن التعقيد والإلغاز، سهلة القراءة والاستيعاب، مفيدة لطالب العلم المبتدئ، وقد تميز مختصره الفقهي التعليمي بـ:

- مماثلة ترتيب متنه لترتيب مؤلفات المالكية، اِستهله بباب الإيمان ثم باب الطهارة، وبعدها الصلاة....الخ
- إجمال المسألة ثم بيانها مفصلة، مثاله في فصل الصلاة المفروضة سبعة أحوال مرتبة، ثم شرع في بيان تفاصيل هذه الأحوال

- جاء المتن في عبارات سهلة موجزة ومختصرة، لا تطويل ممل ولا اختصار مخل، تسهيلا لحفظه وتلقينه للمتعلمين المبتدئين.
- التفصيل للضرورة فيما يجب كباب السهو لدقته والإيجاز فيما يجب كباب الحيض، لوضوحه.
- توضيح ما يحتمل الالتباس في معرفته لدى المتعلم، من مسائل متعلقة بالعبادة كقوله في فصل سنن الغسل: "غسل..."
- تجريد مسائل المتن من الخلاف ومن الآراء الفقهية المتعددة في المسالة الواحدة وذكرها مجردة عن أدلتها، تسهيلا على المتعلم وعدم إشغاله بالتطويل في المسائل الخلافية.
- ندرة الاستدلال في المتن في كل مباحثه باعتباره متنا الغرض منه أن يكون مختصرا بعيدا عن التطويل، إلا في موضع واحد حينما تحدث عن حرمة طلب رضا المخلوقين بسخط الخالق، نجده يستدل بالكتاب والسنة.

التوصيات:

- دراسة مناهج التدريس وتطويرها، للارتقاء بالتعليم.
- وضع المنهج التجريدي للعلامة الأخضري أنموذجا مع المناهج التعليمية.

الهوامش:

(1) البنطيوسي: نسبة الي بنطيوس وهي من إحدى قرى ولاية بسكرة في الجزائر، انظر: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002 م، (332/3)

(2) ينظر: الأخضري، شرح السلم، المطبعة الميمنية، مصر، 1324هـ، ص37

(3) ينظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون تح: محمد شرف الدين يالتقيا ورفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء الثرات العربي، بيروت، لبنان، (998/2)، والزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002م، (331/3)، وأبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، لبنان، 1406هـ-1986م، ص،29-30، عادل نويهض، مُعجَمُ أعلام الجزائِر- مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر

الحَاضِر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط2، لبنان، 1400هـ-1980 م، ص 14، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، (187/5)

(4) ينظر: ألأخضري، السلم المرونق في علم المنطق، تح: أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، سلسلة تحقيق التراث الجزائري، دار ابن حزم، الجزائر، 1425هـ-2004م، ص 9-10.

(5) ينظر: حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، ط1، الجزائر، 2008، ص 230

(6) عمر الوزان: هو الشيخ عمر الوزان كماد المشهور بلقب الوزان من أبرز علماء قسنطينة من القرن العاشر، ينظر: ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، (379/1).

(7) ينظر: عبد الرحمان ترماسين، عبد الرحمان الأخضري حياته وآثاره، د ط دار علي بن زيد للطباعة والنشر، الجزائر، 2017، ص، 39

(8) ينظر: أحمد بن داود الأخضري، العقد الجوهري في التعريف بالقطب الشيخ سيدي عبد الرحمان الأخضري، تح: لحسن بن علجية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، لبنان، 2018، ص 29

(9) ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (500/1)

(10) أحمد بن داود الأخضري، العقد الجوهري، ص29

(11) المرجع نفسه، ص 28

(12) ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (500/1)

(13) ينظر: أحمد بن داود الأخضري، العقد الجوهري، ص 13

(14) ينظر: ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (500/1)

(15) ينظر: حسن درويش القويسني، شرح القويسني على متن السلم في المنطق للعلامة الشيخ عبد الرحمان الاخضري، تح: محمد العزازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، لبنان، 1437هـ، ص8

(16) ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (500/1)

(17) ينظر: حسن درويش القويسني، شرح القويسني على متن السلم في المنطق للعلامة الشيخ عبد الرحمان الأخضري، ص8

(18) ينظر: عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1408، لبنان، ص 44

(19) ينظر: حسن درويش القويسني، شرح القويسني على متن السلم في المنطق للعلامة الشيخ عبد الرحمان الأخضري، ص9

(20) ينظر: بوزيان الدراجي، عبد الرحمان الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، مؤسسة بلاد النشر، الجزائر، ط2، الجزائر، 2009م، ص 26.

(21) ينظر: أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، ص، 31

(22) ينظر: حسن درويش القويسني، شرح القويسني على متن السلم في المنطق للعلامة الشيخ عبد الرحمان الأخضري، ص9

(23) ينظر: بوزيان الدراجي، عبد الرحمان الأخضري، ص 50

(24) المرجع نفسه، ص 51

(25) ينظر: بوزيان الدراجي، عبد الرحمان الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، ص 52

(26) بوزيان الدراجي، ص 75

(27) المرجع نفسه، ص 148

(28) نفسه، ص 223

(29) ينظر: بوزيان الدراجي، عبد الرحمان الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، ص 100

(30) عدد صفحات هذه الطبعة 24 صفحة وهي التي عليها العمل في هذه الورقة.

(31) ينظر: الأخضري أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير، متن الأخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر) (د ط ت)، ص 2

(32) ينظر: الأخضري، متن الأخضري، ص 4

(33) ينظر: بوزيان الدراجي، عبد الرحمان الأخضري، ص 120

(34) ينظر: بوزيان الدراجي، ص 122

(35) ينظر: الأخضري، متن الأخضري، ص9

(36) ينظر: الأخضري، متن الأخضري، ص15-16.

(37) ينظر: الحاج سعيد بن عمر بن سعيد جلياتوري الفوتي، حل المسائل في شرح مختصر الأخضري بالدلائل، سيقو، (د ط) مالي، 1391هـ - 1971م، ص4

(38) ينظر: عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان التواتي، المورد العنبري على المنظومة المسماة بالعبقري في حكم السهو في الصلاة، نسخة موجودة بزاوية كنته، أدرار، د ت، ص2

(39) ينظر: أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، لبنان، 1406هـ- 1986م، ص 147

(40) ينظر: القاضي أحمد بن داود الأخضري، العقد الجوهري في التعريف بالقطب الشيخ سيدي عبد الرحمان الأخضري، تح: لحسن بن علجية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، لبنان، 1439 هـ-2018م، ص 29.

(41) ينظر: بوزياني الدراجي، عبد الرحمان الأخضري، ص277

(42) ينظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية ط7، الجزائر، 1994، (80/3)

(43) ينظر: محمد حاج هني، الجهود البلاغية لعبد الرحمان الأخضري 983هـ، الملتقى الوطني السابع حول إسهامات علماء الجزائر في الدراسات اللغوية الأدبية، كلية العلوم الإنسانية، الجامعة الإفريقية، أدرار، الجزائر، 6-2012/03/7م، ص129

(44) ينظر: بوزياني الدراجي، عبد الرحمان الأخضري، ص75

(45) ينظر: خالد الحلبوني، الشعر التعليمي البداية والتطور، مجلة جامعة دمشق، عدد 43، مج 22، سوريا، 2006، ص97

(46) ينظر: بدوي عبد الصمد الطاهر، منهج كتابة الفقه المالكي بين التجريد والتدليل، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء الثرات، دبي، ط1، اللإمارات، 1423هـ-2002، ص9

(47) قال خليل: " ولتكبيرة وفي إبدالها بسمع الله لمن حمده أو عكسه تأويلان" ينظر: خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين، مختصر العلامة خليل، تح: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ط1، مصر، 1426هـ/2005م، ص36

(48) ينظر: الأخضري أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير، متن الأخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك، ص5

(49) قال خليل " فرائض الوضوء غسل ما بين الأذنين ومنابت شعر الرأس المعتاد والذقن... " ينظر: خليل، مختصر، ص18

(50) ينظر: عبد الرحمان الأخضري، مختصر الأخضري ص14

(51) ينظر: الأخضري، ص6

(52) ينظر: المرجع نفسه، ص4

(53) ينظر: ابن الحاجب أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر، جامع الأمهات، تح: أبو عبد الرحمن الأخضر الأخضري، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1421هـ- 2000م، ص71، خليل بن إسحاق، التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب، تح: أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط1، 1429هـ - 2008م، (1/219-2020).

المصادر والمراجع:

1. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (1500-1830)، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، لبنان، 1998.
2. أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، لبنان، 1406 هـ - 1986م.

3. أحمد بن داود الأخضري، العقد الجوهري في التعريف بالقطب الشيخ سيدي عبد الرحمان الأخضري، تح: لحسن بن علجية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، لبنان، 2018.
4. الأخضري أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير، متن الأخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر، (د ت).
5. الأخضري، السلم المرونق في علم المنطق، تح: أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، سلسلة تحقيق التراث الجزائري، دار ابن حزم،(د ط)، الجزائر، 1425هـ-2004م، ص 9-10.
6. ابن الحاجب أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، جامع الأمهات، تح: أبو عبد الرحمن الأخضر الأخضري، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1421هـ - 2000م.
7. بدوي عبد الصمد الطاهر، منهج كتابة الفقه المالكي بين التجريد والتدليل، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء الثرات، دبي، ط1، اللإمارات، 1423هـ-2002.
8. بوزيان الدراجي، عبد الرحمان الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، مؤسسة بلاد النشر، الجزائر، ط2، الجزائر، 2009م.
9. الحاج سعيد بن عمر بن سعيد جلياتوري الفوتي، حل المسائل في شرح مختصر الأخضري بالدلائل، سيقو، (د ط) مالي، 1391هـ - 1971م.
10. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح: محمد شرف الدين يالتقيا ورفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء الثرات العربي، بيروت، لبنان، (998/2).
11. حسن درويش القويسني، شرح القويسني على متن السلم في المنطق للعلامة الشيخ عبد الرحمان الاخضري، تح: محمد العزازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، لبنان، 1437هـ.

12. حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، ط1، الجزائر، 2008.
13. خالد الحلبوني، الشعر التعليمي البداية والتطور، مجلة جامعة دمشق، عدد 43، مج 22، سوريا، 2006.
14. خليل بن إسحاق بن موسى، التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب، تح: أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط1، 1429هـ - 2008م.
15. خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين، مختصر العلامة خليل، تح: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ط1، مصر، 1426هـ/2005مـ.
16. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.
17. عادل نويهض، مُعجَمُ أعلام الجزائِر - مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط2، لبنان، 1400 هـ - 1980م.
18. عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية ط7، الجزائر، 1994.
19. عبد الرحمان ترماسين، عبد الرحمان الأخضري حياته وآثاره، د ط دار علي بن زيد للطباعة والنشر، الجزائر، 2017.
20. عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، لبنان، 1408.
21. عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان التواتي، المورد العنبري على المنظومة المسماة بالعبقري في حكم السهو في الصلاة، نسخة موجودة بزاوية كنته، أدرار، د ت، ص2
22. عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، (187/5).

23.القاضي أحمد بن داود الأخضري، العقد الجوهري في التعريف بالقطب الشيخ سيدي عبد الرحمان الأخضري، تح: لحسن بن علجية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، لبنان، 1439 هـ-2018م.
24.محمد حاج هني، الجهود البلاغية لعبد الرحمان الأخضري 983هـ، الملتقى الوطني السابع حول إسهامات علماء الجزائر في الدراسات اللغوية الأدبية، كلية العلوم الإنسانية، الجامعة الإفريقية، أدرار، الجزائر، 6-2012/03/7م.